

بيروت مدينتي وآفاق المواطنة الحضرية: المدينة كمنصة للفعل السياسي الفعال

د. منى فواز - استاذة التخطيط المدني في الجامعة الأميركية في بيروت

ملخص

يبقى هناك الكثير من الجدل بشأن الإمكانية الحقيقية للتغيير القادرة عليه الحركات «المحلية» التي ازداد عددها حول العالم خلال العقد الماضي. إذ قامت حركة إنديجادوز¹ في إسبانيا، وحملات بلدية وارسو، واحتجاجات متنزه جيزي (تقسيم) في إسطنبول، وتنظيم ميدان التحرير، وحركة احتلوا، والعديد من الحركات الأخرى، ببناء روابط قوية مع «ما هو مديني»¹. وأضحت ساحات المدن هي المواقع الاستراتيجية للاحتجاج، بينما أثارت دعوات الحشد القائمة على «الحق في المدينة» خيال الأكاديميين ووكالات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية والصحفيين على حد سواء. تتباين هذه الحركات في نطاق أهدافها - فلبعضها مطالب ثورية خاصة بالتحول الوطني الراديكالي، ولبعض الآخر مطالب متواضعة بحياة يومية كريمة. ولكن ما يتشركون فيه هو ارتباط قوي بالمدن والميادين العامة وغيرها من العناصر المدينية. هذه الخواص المشتركة تربط بينهم معا في خيال متعولم ذي نزعة مضادة للبرالية.

أظهرت بيروت مدينتي، وهي حملة انتخابية خاضت غمار الانتخابات البلدية في بيروت في عام 2016، إمكانية تحدي حكم النخبة الطائفية في لبنان. تناول مؤلفة هذا الفصل، والتي كانت ناشطة في الحملة منذ مراحلها الأولى، وساهمت في تطويرها لاحقاً لتصبح منظمة سياسية، إظهار إمكانية البرامج القائمة على مفهوم المدينة على الإسهام في سياسات التغيير- كأساس لتطوير بديل سياسي في لبنان على المدى البعيد. يعتمد الفصل على النقاشات الحالية حول أهمية «ما هو مديني» في التغيير السياسي. وعلى الرغم من أن بعض المحللين تجاهلوا «بيروت مدينتي» باعتبارها «عملاً استعراضياً» على وسائل التواصل الاجتماعي أو اعترضوا على تركيزها على مفهوم الحياة اليومية، فلقد فتح النجاح النسبي للحركة مسارات مهمة للتفكير حول التغيير السياسي. وينطبق هذا بشكل خاص على سياقات مثل السياق اللبناني، حيث تقيد السياسة الطائفية الراسخة من إمكانيات التنظيم الاجتماعي الواسع وتحدد وتوجه مسارات الوصول إلى الرفاهة العامة.

¹ On the Indignados, see Sophie Gonick, "Indignation and Inclusion: Activism, Difference, and Emergent Urban Politics in Postcrash Madrid," *Environment and Planning D: Society and Space* 34, no. 2 (2016): 209-26. On Warsaw's Municipal Campaigns, see Anna Domaradzka, "Changing the Rules of the Game: Impact of the Urban Movement on Public Administration Practices," in *Civil Society and Innovative Public Administration*, ed. Matthias Freise, Friedrich Paulsen, and Andrea Walter (Baden-Baden: Nomos Verlagsgesellschaft, 2015), 188-217. On Istanbul's Gezi Park, see Sinan Erenşü and Ozan Karaman, "The Work of a Few Trees: Gezi, Politics and Space," *International Journal of Urban and Regional Research* 41, no. 1 (2017): 19-36. On Tahrir, see Mustafa Dikeç and Erik Swyngedouw, "Theorizing the Politicizing City," *International Journal of Urban and Regional Research* 41, no. 1 (2017): 1-18. On Occupy, see Margit Mayer, "The 'Right to the City' in Urban Social Movements," in *Cities for People, Not for Profit*, ed. Neil Brenner, Peter Marcuse, and Margit Mayer (New York: Routledge, 2012): 75-97

المساحات المشتركة التي تحاول تجاوز الدولة ككيان واقتراح تحولات جذرية؟ وما مدى قابليتها للتطبيق في سياقات مثل السياق اللبناني، الذي يعرّف الكثيرون فيه الولاء السياسي بناء على الشبكات الطائفية التي تعيد توزيع الخدمات العامة؟

وما يستحق مزيد من العناية أيضاً هو وجود عدد من التغييرات المحتملة والمثيرة للاهتمام في نماذج الحكم المحلي وكذلك دخول فاعلين جدد في المجالس المحلية والإقليمية. والأهم من ذلك أنه يجدر بالأكاديميين والنشطاء أن يفكروا في تأثيرهم على المجال السياسي - مشروع التغيير - عندما يركزون على قضايا مثل مناهضة الإخلاء القسري وحماية الأماكن العامة. هل يمثل هذا شكلاً جديداً من أشكال السياسة؟ أم أنه أمر يختزل العمل السياسي إلى مجرد مطالب لعناصر العيش اليومي، مثل الحق في السكن والغذاء؟

لم يكتب هذا الفصل للإجابة على جميع هذه الأسئلة. لكنه نابع من مشاركتي المباشرة كواحد من الفاعلين الرئيسيين لبيروت مدينتي

تفسر الخصائص المتأصلة في المساحات الحضرية - بالنسبة للبعض - هذا التوجه: إذ تعتبر المدن مواقع طبيعية للاختراع والابتكار ذلك أنها منفتحة على التأثيرات والتفاعلات الخارجية، لذا من الطبيعي أن تنشأ مثل هذه الحركات داخل المدن.² بالنسبة للبعض الآخر، تقدم المدينة الأسس التي يمكن الاعتماد عليها في ممارسة المطالب الخاصة بالمواطنة ليس فقط من خلال استعادة امتلاك المساحات العامة ولكن أيضاً عن طريق احتلال الأراضي للحصول على مكان للعيش فيه، وبالتالي تفعيل مطالب الإدماج الجوهري.³ لا تقدم هذه التفسيرات، على الرغم من فائدتها، أدلة كافية حول إمكانيات التغيير السياسي التي تحققها الحركات الاجتماعية الحضرية.⁴ فالعديد من الأسئلة يبقى دون إجابة، بما في ذلك كيف تختلف الحركات المدنية/ الحضرية عما سبقها من حركات اجتماعية؟ هناك حاجة إلى البحث لمعرفة ما هي الأصوات الجديدة الناشئة؟ وكيف تصيغ هذه الأصوات المطالب التي استندت تاريخياً على المسألة الطبقيّة بناء على أسس الجنس، والنوع، والعرق. هناك أشكال جديدة للفعل علينا تحديدها. ما هي آفاق «النماذج البديلة» مثل المشاعات، أو

² Ash Amin and Nigel Thrift, *Cities: Reimagining the Urban* (Cambridge, UK: Polity Press, 2002); and Jenny Robinson, "Inventions and Interventions: Transforming Cities—an Introduction," *Urban Studies* 43, no. 2 (2006): 251–58. Specifically in relation to Beirut, see Stephen Deets, "Consociationalism, Clientelism, and Local Politics in Beirut: Between Civic and Sectarian Identities," *Nationalism and Ethnic Politics* 24, no. 2 (2018): 133–57

³ See Faranak Miraftab and Shana Wills, "Insurgency and Spaces of Active Citizenship: The Story of Western Cape Anti-Eviction Campaign in South Africa," *Journal of Planning Education and Research* 25, no. 2 (2005): 200–217; Engin Fahri Isin, "Introduction: Cities and Citizenship in a Global Age," *Citizenship Studies* 3, no. 2 (1999): 165–71; Arjun Appadurai and James Holston, "Cities and Citizenship," *Public Culture* 8, no. 2 (1996): 187–204; and Dikeç and Swyngedouw, "Theorizing the Politicizing City."

⁴ Margit Mayer, "First World Urban Activism: Beyond Austerity Urbanism and Creative City Politics," *City* 17, no. 1 (2013): 5–19.

أشكال السياسة الأدائية التي يمكن الانتساب لها والفعالة والقادرة على زحزحة بعض المجازات الطائفية. ومع ذلك، لا تزال هناك تحديات كبيرة في لبنان، البلد الذي تعكس فيه أنماط التصويت علاقات زبائنية قوية بدلاً من طموحات الجموع.

يبدأ الفصل بعرض موجز للسياق الذي ظهرت فيه بيروت مدينتي. ثم ينتقل بعدها لتوضيح الحجج الدافعة بأهمية الحركة، وذلك قبل الانتهاء بالتعقيب على بعض ردود الفعل التي أثارها الحملة، وأوجه قصور الحركة.

نشأة بيروت مدينتي

شهدت بيروت، في صيف 2015، أكبر احتجاجات لها منذ عقد. فلعدة أسابيع، تراكمت النفايات في جميع أنحاء المدينة بسبب امتلاء المكب الرئيسي، هذا وقد فشلت الحكومة، رغم سنوات من التحذيرات، في العثور على موقع جديد. ردت الحكومة - في ذلك الوقت - على الاحتجاجات المتصاعدة بالعنف. بينما بلغ الحراك ذروته في 28 أغسطس/ آب، عندما تدفق عشرات الآلاف من سكان المدينة إلى الشوارع مطالبين

، الحملة الانتخابية التي أطلقت خلال الانتخابات البلدية في لبنان في عام 2016⁵. اعتمدت في كتابة هذا الفصل، على تجربتي بصفتي عضوة نشطة حالياً في الحركة السياسية المدنية التي تحمل الآن اسم الحملة. سوف يناقش هذا الفصل في إمكانات كسب التأييد المرتكزة على المدينة كنقطة انطلاق لتحدي السياسة الطائفية الراسخة في لبنان، دافعاً بطرح مفاده أن المدينة - كمسرح/ منصة ومادة فعلية للحراك السياسي - تقدم مسارات مهمة في لبنان وخارجها للعمل التنظيمي مثل الناشطة، وحركات الإصلاح وتعبئة الناخبين. بشكل أكثر تحديداً، يقدم هذا الفصل حجتي للناشطين وغيرهم من المهتمين بالتغيير السياسي تظهران لماذا يشكل التنظيم المتمحور حول المدينة طرازاً جوهرياً وقابلاً للتطبيق في الحراك الهادف للتغيير السياسي طويل الأجل. الحجة الأولى، إن مركزية المدينة في السياق الاقتصادي والسياسي الحالي يجعلها موضوعاً مثالياً للتنظيم الذي يمس هموم الحياة اليومية المباشرة (وبالتالي يجذب سكان المدن) بينما يواجه - في الوقت ذاته - قلب التحديات السياسية العالمية الحالية. ثانياً، يسمح اقتراب المطالب المدنية من الناس بوجود شكل من

⁵ Earlier studies on Beirut Madinati include Mona Khneisser, "The Marketing of Protest and Antinomies of Collective Organization in Lebanon," *Critical Sociology*, 2018, 0896920518792069; Thanassis Cambanis, "People Power and Its Limits: Lessons from Lebanon's Anti-Sectarian Reform Movement," *The Century Foundation*, March 29, 2017, <https://tcf.org/content/report/people-power-limits>; Deets, "Consociationalism, Clientelism, and Local Politics in Beirut"; Mona Harb, "New Forms of Youth Activism in Contested Cities: The Case of Beirut," *The International Spectator* 53, no. 2 (2018): 74-93; and Deen Sharp, "Beirut Madinati: Another Future is Possible," *Middle East Institute*, September 2016, <https://www.mei.edu/publications/beirut-madinati-another-future-possible>.

باستقالة وزيرى البيئة والداخلية. وكان فى قيادة الاحتجاجات ائتلاف مؤقت مكون من مجموعات صغيرة، تعد «طلعت ربحكم» الأشهر بينهم. ضم الائتلاف أيضاً سكاناً منظمين من الأحياء المتضررة، ومجموعات طلبة، وغيرهم⁶. قد تكون أكوام القمامة المبعثرة فى كل ركن من أركان المدينة هى السبب وراء انطلاق المظاهرات، إلا أن الحركة سرعان ما ربطت بين استراتيجية المدينة الفاشلة لإدارة النفايات الصلبة وبين اختلاس أموال دافعى الضرائب، متحدية بذلك -بشكل عام- لثقافات الفساد والطائفية التى هيمنت على السياسة اللبنانية. منذ انتهاء الحرب الأهلية فى عام 1990⁷ وندد شعار كلون يعنى كلون («جميعكم تعنى جميعكم») بالطبقة السياسية برمتها، متحدياً الانقسامات التى موضعت -بطريقة شكائية- الحياة السياسية فى لبنان ومواطنيه على طول خطوط طائفية لولاءات إقليمية متعارضة⁸.

نجحت احتجاجات أغسطس/ آب 2015 فى الجمع بين أفراد وجماعات، كانوا حتى ذلك

الوقت يعملون بشكل متفرق. عندما لم تتم الاستجابة لمطالب المتظاهرين، بدأ النشاط فى مناقشة الخطوات القادمة، حيث اقترح البعض المشاركة فى الانتخابات المحلية. إذا اقتفينا أثر الموضوع بشكل رجعي، سنجد أنه كان هناك القليل من الإجماع بين النشاط حول اختيار الانتخابات البلدية كساحة جديرة بجهود التنظيم. حضرت شخصياً، فى أعقاب الاحتجاجات، العديد من الاجتماعات التى ناقشت خيارات «الخطوات التالية». وفى ذلك الوقت، لم تحظ فكرة الترشح للانتخابات البلدية فى العاصمة بتأييد كبير. إذ رفض البعض الهدف باعتباره غير طموح، بينما اعتقد آخرون أننا بحاجة إلى وضع الأساس لبرنامج وطني قادر على بناء إجماع يتجاوز التحديات السياسية المثيرة للانقسام على الصعيد الوطني (مثل القضايا الجيوسياسية). فى نهاية المطاف، قرر عدد قليل منا أن تكون خطوتنا التالية هى بناء تنظيم حول الانتخابات البلدية المقبلة. فيما انتظر معظم النشاط الآخرين عدة أشهر قبل أن ينضموا ويصبحوا جزءاً من الحملة، التى تطورت فيما بعد لتصبح بيروت مدينتي. بينما ظل الشك سائداً -حتى بين

⁶ Konstantin Kastrissianakis, "Exploring Ethnocracy and the Possibilities of Coexistence in Beirut," *Cosmopolitan Civil Societies: An Interdisciplinary Journal* 8, no. 3 (2016): 59; Sharp, "Beirut Madinati.

⁷ See Jeffrey G. Karam, "Beyond Sectarianism: Understanding Lebanese Politics through a Cross-Sectarian Lens," *Brandeis University Middle East Brief* no. 107, April 2017, <https://www.brandeis.edu/crown/publications/meb/MEB107.pdf>; Bassel Salloukh et al., *The Politics of Sectarianism in Postwar Lebanon* (Cambridge, UK: Pluto Press, 2015).

⁸ انقسمت الطبقة السياسية اللبنانية - منذ عام 2005 - إلى تحالفين: 8 آذار (وهو داعمو التحالف الإقليمي بين سوريا وإيران) و 14 آذار (فى إشارة إلى المناهضين لسوريا، الذين ينظر إليهم عادة على أنهم حلفاء المملكة العربية السعودية. والدول الغربية). يشمل تحالف 8 آذار الأحزاب السياسية الشيعية، أما الأحزاب السياسية السنية فهى فى 14 آذار، بينما تنوزع الأحزاب المسيحية والدرزية بين التحالفين. هذه التحالفات بعيدة كل البعد عن أن تكون مستقرة/ عن الاستقرار، كما ظهر مؤخرًا فى الانتخابات الوطنية حيث ترشحوا على قوائم انتخابية مماثلة فى العديد من الدوائر الانتخابية. ومع ذلك، فإن توازن هذه الكتل أمر حاسم لاستمرار الوضع السياسي الحالي، الذى يمكن فيه تأجيل جميع القرارات حتى تتمكن المساومات فيما بينهم من تأمين مستوى ما من المساواة المتخيلة - كما جرى حديثاً من تأخير تشكيل الحكومة لمدة تسعة أشهر.

مجموعات معارضة أخرى تتطلع إلى تقديم مرشحين أو مع شخصيات بارزة في الأحياء يمكن أن يكونوا جزءاً من قائمة مرشحي بيروت مدينتي. عبر عدة مخاتير (ممثلين محليين) ممن خاضوا معنا نفس الانتخابات عن اهتمامهم بتشكيل تحالفات مشتركة. سرعان ما أصبحت هذه الفرص أكبر تهديد للنماسك الداخلي للحملة، نظراً لاختلاف قراءات الأعضاء الرئيسيين لتداعيات أي انحياز قد يفسره مؤيدو الحملة على أنه تقارب مع أي من المعسكرات السياسية التقليدية. في النهاية، اختارت الحملة عدم الانحياز لأي من المجموعات الخارجية. لا يزال البعض يعتقد أن هذا القرار أنقذ نزاهة الحملة، في حين يرى البعض الآخر أن هذا الأمر أفقدنا بضة مقاعد في مجلس البلدية الحالي.

من خلال النظر للأمر الآن من الواضح أنه بدلاً من بناء إجماع سياسي جديد، اعتمدت حملة بيروت مدينتي على الحملات السابقة التي نظمت في المدينة منذ نهاية الحرب الأهلية. جانب رئيسي من هذه الحملات كان المطالبات المتعلقة بما هو مديني والتي مثلت قلب التعبئة الجوهرية منذ عام 1991. وأبرزها شمل مجموعات مقاومة مخططات شركة القطاع الخاص سوليدير لإعادة إعمار القلب التاريخي لمدينة بيروت بعد الحرب، إلى جانب حملات الحفاظ على التراث، والحركات المقاومة للطرق السريعة، وحملات الفضاء العام والتحكم في الإيجار. وكان من بين المنظمين

المنظمين الرئيسيين لبيروت مدينتي - سواء خلال الحملة أو بعدها حول قدرة حركة مدنية على أن تصبح محرصاً فعالاً للتغيير. أتذكر بوضوح إصرار بعض المنظمين الرئيسيين مراراً وتكراراً، في الأشهر التي سبقت انتخابات مايو/ أيار 2016، على أن بيروت مدينتي هي مجرد حملة، وأنه لن يكون لها وجود بعد الانتخابات. سمح هذا المنظور لهؤلاء المنظمين بأن ينحوا جانباً ما اعتبروه تباينات حادة في الآراء حول التحديات الوطنية الكبرى (ما قد يسميه البعض «السياسة الحقيقية») لبضعة أشهر، وخلال ذلك الوقت امتلكننا رفاهية التركيز على قضايا مدنية مشتركة. وسواء كانت هذه الانقسامات حقيقية أم لا، فإن «مفهوم المدينة» وفر قضية واضحة يمكن الحشد عليها وباستطاعتها التشبيك والتجسير بين معسكرات وطوائف متعددة. وهنا برزت رؤية موحدة وقائمة مطالب متماسكة، كانت رسالتها الأساسية هي استراتيجية لتحسين التجربة المدنية من خلال تأمين خدمات وسبل عيش أفضل - وبالتالي، حياة أكثر كرامة للأغلبية الحضرية. ومع ذلك، فإن تنحية الأسئلة الوطنية المثيرة للانقسام جانباً ظل ممكناً فقط طوال المدة التي كانت الحركة فيها صغيرة، يُنظر إليها على أنها غير محددة، وبالتالي غير جاذبة للحلفاء المحتملين الآخرين. بحلول الوقت الذي اكتسبت فيه حملة «بيروت مدينتي» زخماً أكبر، تم التقرب منا بغرض تشكيل تحالفات - معلنة أو خفية - سواء مع

سياسي حيوي قوامه مجموعة متماسكة لما كان يوصف مراراً بأنهم مرشحين «أكفاء» و «ونزهاء». وحتى ذلك الحين، كانت تحديات الانحيازات السياسية تتم فقط من خلال عمل بعض الأفراد المؤثرين، لكن ليس أبداً من خلال برنامج سياسي.

في هذا السياق، ليس من المستغرب أنه بمجرد انتهاء الانتخابات، كان من الصعب على بيروت مدينتي أن تظل متماسكة، ذلك على الرغم من أن رسالتها حصدت أكثر من ثلث أصوات المدينة. فمن ناحية، مارست التوقعات الشعبية لسكان المدينة من الحركة ضغطاً على النشطاء للعب دور لم يكونوا قادرين عليه مؤسسياً وغير معدين للقيام به شخصياً. بينما علق الكثيرون منا حيواتهم المهنية والشخصية وتطوعوا كمنظمين متفرغين طوال فترة الحملة، فقد اضطررنا إلى العودة إلى ما يشبه حياتنا الطبيعية بعد الانتخابات. ومع ذلك فإن ما كان يصور غالباً على أنه خلافات فردية، أو بسخاء أكثر، إنهاك الناشطين، كان قناعاً لتوترات أكثر عمقاً ظهرت أثناء الحملة - سواء حول أساليب التنظيم أو تبعات حراك بيروت مدينتي على المشهد السياسي. هل كان تحدي المجلس البلدي في بيروت بذرة لتطوير دولة علمانية مستقلة ذات برنامج سياسي جديد؟ أم أنه كان مجرد زعزعة استقرار

الأوائل نشطاء كانوا منخرطين في قضايا علمانية، بما في ذلك مجموعات طلابية. إلا أنه، باكتساب الحملة مكانة أبرز، جذبت أعضاء من المجتمع المدني الحيوي، ممن يدعمون الحياة الثقافية وحقوق النساء وحقوق مجتمع الميم (المثليين والمثليات وثنائبي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية وأحرار الجنس الكويريين)، وحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، وغيرهم. كما استقطبت الحملة العديد من النشطاء التواقين إلى استعادة النظام الانتخابي الديمقراطي في حقبة ما بعد الحرب، بما في ذلك بعض الحركات التي تطالب بإعادة الانتخابات المحلية وتلك التي تعمل من أجل شفافية الانتخابات.⁹

غير أن بيروت مدينتي قدمت بعداً مختلفاً لهذه الحركات التعبوية. فهي نقلت موضع القائمين على الحشد في هذه المجموعات من نشطاء إلى فاعلين إلى سياسيين يتحدون بشكل حاسم النخبة الحاكمة من خلال المشاركة المباشرة كمتنافسين في الانتخابات. قامت الحركات الاحتجاجية السابقة إما بصياغة التحديات الجماعية على أنها مطالب أو ضغوط يمنحها السياسيون، أو وضعوا أنفسهم «كمراقبين موضوعيين» لمراقبة الإجراءات القانونية الواجب اتباعها. لكن بيروت مدينتي كانت الحاضنة لبدل

⁹ On these campaigns, see Harb, "New Forms of Youth Activism in Contested Cities"; Saree Makdisi, "Laying Claim to Beirut: Urban Narrative and Spatial Identity in the Age of Solidere," *Critical Inquiry* 23, no. 3 (1997): 661-705; Sharp, "Beirut Madinatī"; Abir Saksouk-Sasso, "Making Spaces for Communal Sovereignty: The Story of Beirut's Dalieh," *Arab Studies Journal* 23, no. 1 (2015): 296; and Nadine Bekdache, "Evicting Sovereignty: Lebanon's Housing Tenants from Citizens to Obstacles," *Arab Studies Journal* 23, no. 1 (2015): 320.

يجعل هذا التشكك القائم حول إمكانات حركة قائمة على أساس مدني في تشكيل قاعدة هوية سياسية جمعية من الضرورة بمكان التفكير في إمكانات وأوجه قصور هذا الشكل من التنظيم، نظراً لأننا نبحث عن بدائل للأطر المهيمنة على التفكير في الهويات الجماعية والحراك. يقدم القسم التالي إطاراً للتفكير حول إمكانات الحركات القائمة على أساس مدني، قبل الانتقال إلى تحليل لمدينة بيروت.

المواطنة المدنية كإطار

إن الافتراض القائل بأن الانتماء والتنظيم الجماعيين يمكن أن يرتكزا على الإقامة التشاركية بدلاً من الهوية الوطنية، غالباً يسبق أي شكل آخر من أشكال التنظيم السياسي المرتبط بالمكان. الصياغات المبكرة للمواطنة الحضرية - أو «المواطنة المدنية» - التي عادة ما يرد تاريخها إلى المدينة- الدولة الإغريقية - مبنية على نموذج الديمقراطية الإغريقية (بقدر عدم اكتمال ذلك النموذج)، والذي يجتمع فيه أصحاب الأملاك من الذكور -كذوات سياسية- ليقرروا بشكل جماعي طريقة إدارة أراضيهم.¹⁰ يفترض هذا النموذج -وفقاً لطرح هانا أرندت- أنه بدلاً من العيش معاً ببساطة بدافع الملاءمة أو الضرورة، فإن

للتوازن الهش للنخبة السياسية، ربما لصالح حزب الله الذي يتمتع بقوة أكبر من خلال إضعاف منافسه البيروتية، تيار المستقبل؟

مع اقتراب الانتخابات النيابية، أصبح سؤال إلى أي حملة وطنية سننحاز وكيف ستواجه - هذه الحملة- التحديات الوطنية (مثل الحرب في سوريا أو تسليح حزب الله) أكثر إثارة للانقسام من ذي قبل. المثير للاهتمام، أن الانقسام لم يكن حول كيفية الاستجابة لهذه التحديات، وهي نقطة خلافية اتفق عليها معظم الأعضاء إجمالاً، ولكن حول ما إذا كان من الممكن خوض الانتخابات دون أن نجعل هذه التحديات عناصر أساسية لحماتنا. بمعنى آخر، لم يكن واضحاً ما إذا كان خطاب بيروت مدينتي-المرتكز على المدينة- يمكن أن يشكل مادة كافية للسياسة الوطنية. وفضل العديد من نشطاء بيروت مدينتي فصل القضايا المدنية عن البرامج الوطنية، وبدأ العديد منهم حملات خارج النواة التنظيمية للحركة. كان لهذا التشكك بعض الصدى داخل المدينة، حيث اختلف مؤيدو الحركة أحياناً حول ما إذا كان الترشح للانتخابات الوطنية قراراً جيداً، بالنظر إلى اللغة المدنية التي وسمت بيروت مدينتي. ومع ذلك، بدا أن هناك دعماً غامراً لبيروت مدينتي لتقديم المرشحين.

¹⁰ Rainer Baubock, "Reinventing Urban Citizenship," *Citizenship Studies* 7, no. 2 (2003): 139-60; and Monica W. Varsanyi, "Interrogating 'Urban Citizenship' Vis-à-Vis Undocumented Migration," *Citizenship Studies* 10, no. 2 (2006): 229-49. Many others have used the term "city-zenship." See, for example, Michael Keith, "City-zenship in Contemporary China: Shanghai, Capital of the Twenty-First Century?" in *The New Blackwell Companion to the City*, ed. Gary Bridge and Sophie Watson (Hoboken, NJ: Blackwell, 2012): 398-406.

جذب الاستثمارات العالمية إلى مدنهم (بدلاً من دولهم ككل). أنتجت الموازنات التشاركية وجلسات الاستماع العلنية تأييداً قوياً لفكرة الإدماج، لاسيما في المدن التي تتميز بقدر كبير من الحركية، والتي انخرطت في جدالات حول من يحق له التصويت وكيف. أما في الشرق الأوسط، حيث تتسع المسافة بين صانعي القرار والمواطنين بشكل فج، فقد اكتسبت السلطات المحلية اهتماماً خاصاً لدى الأكاديميين والنشطاء. كان هذا هو الحال على وجه الخصوص بعد أن أبرزت انتفاضات الربيع العربي ضرورة وجود حكومة أكثر ديمقراطية (على مستوى المطالب على الأقل، إن لم يكن على مستوى الممارسة).

بالإضافة إلى ذلك، اكتسبت المدن أهمية كمساحات للحراك الشعبي بسبب مركزيتها بالنسبة للمشروع النيوليبرالي الحالي. وبوصفها مواقع بارزة لاستيعاب الاستثمارات الأجنبية والمحلية، كانت الأراضي الحضرية في قلب عملية زيادة حجم القطاع المالي في الاقتصاد العالمي.¹⁴ وغالباً ما كان الارتفاع في قيمة للأراضي الحضرية يحدث على حساب الأدوار الاجتماعية (الحاسمة) التي تلعبها الأرض كمكون أساسي للمأوى ومساحة العمل

الناس تجتمع أيضاً للتحدث والقيام بأفعال سوية، بعبارة أخرى، التصرف كذوات سياسية¹¹. وسيطرت فكرة مساواة المدينة بالمجتمع المنظم على عمل العديد من المفكرين الاجتماعيين الذين اعتبروا المستوطنات الحضرية مرآة للحياة الاجتماعية، واستمر ذلك حتى ظهور نموذج الدولة كشكل عالمي للمواطنة في القرن العشرين.¹²

في أعقاب تهميشها على مدار القرن الماضي بسبب سيطرة النطاق الوطني، أعيد إحياء فكرة المواطنة المدنية في العقود الأخيرة من خلال اتجاهين على الأقل. الأول، نموذج «تقهقر الدولة» والذي حاز شعبية من خلال الحول التنموية للمنظمات الدولية في الثمانينيات، ثم تبعها في التسعينيات تعويذة اللامركزية، والتي ركزت على دور السلطات المحلية في إدارة المناطق وسكانها.¹³ أعادت المناقشات المهيمنة في مجالات السياسة والتخطيط والجغرافيا، بالإضافة إلى توصيات أوراق السياسات التي أصدرتها الوكالات العالمية، أعادت تعزيز مكانة المدن كنطاق للحكم، وأبرزت مكانة القائمين على السلطة المحلية كمديرين ديمقراطيين للفضاءات المدنية، وكذلك كرواد أعمال يعملون على

¹¹ Hannah Arendt, *The Human Condition* (Chicago: University of Chicago Press, 2013). See also Engin Fahri Isin, *Being Political: Genealogies of Citizenship* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 2002).

¹² Richard Sennett, *Classic Essays on the Culture of Cities* (Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, 1969).

¹³ يرتبط تعبير «تقهقر الدولة» غالباً بعصر تاتشر - ريغان، ويشير إلى الضغوط التي تمارسها المنظمات الدولية والشركات عبر القومية لتقليص حجم الحكومات، كشرط مسبق لتقديم المساعدات في كثير من الأحيان

See, for example, Jonathan Pugh and Robert B. Potter, "Rolling Back the State and Physical Development Planning: The Case of Barbados," *Singapore Journal of Tropical Geography* 21, no. 2 (2000): 183-99

¹⁴ David Harvey, "Neoliberalism and the City," *Studies in Social Justice* 1, no. 1 (2007): 2-13.

كأساس لفكرة «التواجد معاً» وصياغة مطالب جماعية بغض النظر عن المواطنة المتعلقة بالدولة أو وضع الإقامة القانوني. تستخدم المواطنة الحضرية غالباً لاستدعاء حالة من العضوية -سواء كانت هذه العضوية رسمية أو غير رسمية - في نظام سياسي محدد جغرافياً. ويشمل هذا النظام عادة عدة مطالب جوهرية. هذه المطالب تتعلق بأشياء، مثل الحق في السكن، وهي المطالب المهددة حالياً من قبل نماذج التوسع الحضري الناجمة عن الاتجاهات السائدة في الاقتصاد العالمي، مثل الارتقاء المدني وسيطرة القطاع المالي على الأراضي.

أحد أكثر الأبعاد شيوعاً للصياغات المتعددة الحالية للمواطنة الحضرية هو التركيز على العملية ذاتها أكثر من الوضع فيما يخص التطوير المفاهيمي للمصطلح¹⁶. ومن هنا، جاءت فكرة الجغرافي السياسي أورين يفتشيل بأن «المواطنة المدنية» تدل على «صراع متقاطع مع ماديات وهويات وسياسات الحياة الحضرية، وليس في المجالات القانونية والبيروقراطية لمؤسسات الدولة»¹⁷. المواطنة الحضرية هي إذن ليست حقاً يمرر بالولادة أو يتم التحصل عليه من خلال خطوات قانونية محددة بوضوح. لكنها مطلب يتم طرحه من خلال الأفعال التي

واللعب - وبالتالي تقويض إمكانيات توفير سبل عيش كريمة لمعظم سكان المدن. شهدت العديد من مدن العالم الجنوبي، بما في ذلك مدن الشرق الأوسط مثل بيروت وعمان واسطنبول والقاهرة، تحول اقتصادياتها إلى الإنشاءات والاستثمار العقاري، إذ تصبح المدينة الموقع الأمثل لانتزاع القيمة وتراكم رأس المال. بشكل أعم وكما عبر الباحثان مايكل هارت وأنتونيو نيغري ببلاغة، أضحت المدينة بالنسبة إلى الجموع ما كأنه المصنع بالنسبة للطبقة العاملة الصناعية¹⁵.

في هذا السياق، كانت هناك عودة إلى المواطنة المدنية، تميزت هذه العودة بإعادة إحياء شعار «الحق في المدينة» الشهير لهنري لوفيفر - وهو الشعار الذي قدمه الفيلسوف الفرنسي في عام 1968 والذي سيطر على خيال الأكاديميين والناشطين والمنظمات الدولية في العقود الأخيرة. منح لوفيفر مفهومه الأساسي إمكانات انقطاعية/ مزعزعة تنطوي على التحرر من كل من قواعد السوق والدولة. لكن في الاستخدامات الحديثة لهذا الشعار، نجد أنه تم تجريده من هذه المضامين. إلا أنه مع ذلك ما زال يحتفظ بمعنى مرتبط بنطاق معين من التنظيم السياسي المتمحور حول الإقامة في مساحات تتميز بالكثافة العالية والتنوع والحركة

¹⁵ Michael Hardt and Antonio Negri, *Commonwealth*, First Harvard University Press paperback ed. (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2011).

¹⁶ Michael Hardt and Antonio Negri, *Commonwealth*, First Harvard University Press paperback ed. (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2011).

¹⁷ Oren Yiftachel, "Epilogue—From 'Gray Space' to Equal 'Metrozanship'? Reflections on Urban Citizenship," *International Journal of Urban and Regional Research* 39, no. 4 (2015): 726–37.

من أنه يطرح بأنه لا ينبغي تفسير المواطنة الحضرية على أنها بديل أو معكوس الانتماء الوطني، إلا أنه يؤكد أن هذا النوع من المواطنة يستدعي مخزوناً بديلاً من الأفعال التي تضع احتلال الأراضي والمظاهرات محل القنوات الرسمية المشروعة. «في حين أن ممارسات المواطنة مثل التصويت أو دفع الضرائب أو تعلم اللغات تبدو سلبية وأحادية الجانب في الديمقراطيات الجماهيرية، فإن أفعال المواطنة تحيد عن تكرار نفس الشيء وبالتالي فهي تتوقع ردود فعل من خصوم خياليين ولكن ليسوا وهميين.»²²

حتى مع هذا المنظور النظري، ليس من الواضح بالضرورة أن التصويت هو فعل مواطنة معتاد وفعال في كل مكان، أو أنه لا يمكن تفسيره على أنه عمل مقاومة. يتطلب إصدار مثل هذا الحكم تقييم «فرص» التصويت وتحديد الحركات التي تجسد وجهات نظر الفرد. من خلال تجربة مدينتي بيروت، أمل من خلال الأدبيات الخاصة بالمواطنة الحضرية أن أوضح أهمية «التجارب اليومية» والحراك الأدائي في تكوين الذوات والجماعات السياسية.

يقوم بها الأفراد والجماعات لاستغلال الفرص السانحة أمامهم في المدينة تدريجياً، أو لتشكيل فرص جديدة من خلال ما وصفه عالم الاجتماع إنجين فهري إيسين بـ «أفعال المواطنة».¹⁸ احتلال قطعة من الأرض لبناء منزل، على سبيل المثال، أو مقاومة العزل السكني والمطالبة بالوصول إلى الخدمات، جميعها أفعال تمثل السعي لاستعادة الحق في الوصول إلى الأماكن والفضاءات المختلفة. وبالتالي، فهي ممارسات مكوّنة للمدينة أو كما يصفها عالم الأنثروبولوجيا جيمس هولستون «مواطنة متمردة»¹⁹. وبالمثل، فإن «الساكنين والكهربائيين يجاهدون» في مدينة ديربان، جنوب أفريقيا، لتوصيل الزبائن غير القادرين على دفع الفواتير بالشبكة الرئيسية للمدينة، مؤكدين بذلك حقوقهم كمواطنين للمدينة بدلاً من كونهم زبائن.²⁰ في أماكن أخرى، في مدن الشمال، يطرح آخرون فكرة أن المشاركة في الاحتجاجات العامة أمر يسترد به الفرد حقه في العيش دون تجريّم محوّلًا حالته كلاجئ أو مهاجر غير قانوني إلى شكل من أشكال استعادة الانتماء أو المواطنة الحضرية.²¹

من المرجح أن إيسين هو الكاتب الأغزر إنتاجاً فيما يخص المواطنة الحضرية! وعلى الرغم

¹⁸ Engin Fahri Isin and Greg Marc Nielsen, eds., *Acts of Citizenship* (London and New York: Zed Books, 2008).

¹⁹ James Holston, "Insurgent Citizenship in an Era of Global Urban Peripheries," *City & Society* 21, no. 2 (2009): 245-67.

²⁰ Miraftab and Wills, "Insurgency and Active Citizenship."

²¹ Varsanyi, "Interrogating 'Urban Citizenship'"; and Thomas Swerts, "Creating Space for Citizenship: The Liminal Politics of Undocumented Activism," *International Journal of Urban and Regional Research* 41, no. 3 (2017): 379-95.

²² Isin and Nielsen, *Acts of Citizenship*, 2.

وحقوق سكان المدينة في العيش بكرامة. تجسد ذلك في خارطة طريق برنامج بيروت مدينتي المكون من عشر نقاط، والذي كان جوهر خطاب الحملة. أشعلت الحركة الأمل من خلال مساعدة سكان المدينة على تخيل إمكانية وجود بديل للسياق الحالي، محفزة جمهورها عن طريق استخدام صور ومقاطع فيديو تصور مدينتهم بشكل أكثر إشراقاً. وجدت هذه الرسالة صدى مهما عند لسكان بيروت الذين شاهدوا بأعينه جودة حياتهم اليومية تتدهور بشكل حاد على مدار العقد الماضي، والذين ربطوا هذا التدهور بفساد نوابهم المنتخبين. ومن هنا، جاء الكثير من مؤيدي حملة بيروت مدينتي الأوائل من الطبقات المتوسطة الميسورة نسبياً، إذ كان بإمكانهم أن يتماهوا على الفور مع تدهور الأوضاع الحضرية كمشكلة رئيسية- ربما أكثر من الطبقة العاملة، الذين ربما كانوا أكثر اهتماماً بتوفير العيش.

يمكن النظر إلى البرنامج الموضوعي للحركة باعتباره نقداً للنظام الاقتصادي؛ فكما ناقشنا أعلاه، تقع المدينة في قلب المشروع النيوليبرالي.²³ كثفت فترة ما بعد الحرب، في لبنان، ممارسات المضاربة في إدارة الأراضي، وخصخصة المساحات المشتركة والعامة، وحصر الممتلكات في أيدي عدد قليل، وتحويلها

المطالب الحضرية باعتبارها مطالب جوهرية

في لبنان، حيث ترتبط السياسة بالفساد ويتم السخرية منها عادة بوصفها «بالوسخة/ القذرة» (بما في ذلك الحركات والنقابات العمالية المخترقة بقوة من قبل السياسات الطائفية)، كان التحدي الهائل أمام بيروت مدينتي هو إقناع الناخبين بإمكانية التغيير من خلال صندوق الاقتراع.²³ كان النجاح محدوداً على هذا الصعيد، إذ أدلى أقل من 20 في المئة من الناخبين بأصواتهم في انتخابات عام 2016. ولكن ربما كان الإنجاز الرئيسي للحركة هو إعادة تركيز النقاش السياسي خلال الانتخابات البلدية (وإلى حد ما، منذ ذلك الحين) على ما عرفته بيروت مدينتي بأنها السياسات المرتكزة على الشعب؛ والتي تتخذ من سبل العيش اليومية في إطار جماعي منتج حول المدينة أساساً لتنظيمها. من خلال الترويج لإمكانية العيش معاً في إطار من الحياة اليومية المحسنة (عن طريق النصوص والصور)، حاولت بيروت مدينتي إقناع المواطنين بإمكانية الانخراط في العملية السياسية من خلال تجاوز «إعلان ما هو خاطئ».²⁴ بعبارة أخرى، تجاوزت الحملة إدانة الطائفية أو سياسات الهوية أو الفساد للتركيز على الأبعاد الجوهرية للمواطنة المدنية

²³ See Domaradzka, "Changing the Rules of the Game"; and Deets, "Consociationalism, Clientelism, and Local Politics in Beirut."

²⁴ Jacques Rancière, *Disagreement: Politics and Philosophy* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1999).

²⁵ Harvey, "Neoliberalism and the City."

ممكناً. إذ لا يحتاج المرء إلى معرفة مسبقة بتاريخ الشخصيات العامة المعقد أو خلفياتهم، أو لأن يكون ملماً برطانة حديث تقاسم السلطة الطائفي، ليعبر عن دعمه لحركة تتحدث بلغة شابة وجديدة وسهلة وتدعو سكان المدينة للمشاركة في مواجهة التحديات المستمدة من تجاربهم اليومية.

عرضت بيروت مدينتي صورة مغرية على وسائل التواصل الاجتماعي لـ «حركة شابة». وارتدى مرشحو الحملة ملابس غير رسمية بدلاً من البدلات، واعتمدوا على العمالية العربية وشعارات الشارع.. كانوا يصعدون باستمرار صورة تعزز المساواة بين الجنسين، وألحموا أحياناً إلى دعم حقوق مجتمع الميم. ودعوا مراراً مؤيدي الحملة للمشاركة في محادثاتهم من خلال العديد من الوسائل- مشاركة منشور، والتقاط صورة، وتصوير فيديو. استحضر كان هذا النهج جذاباً بشكل خاص للجموع الشابة، الذين سرعان ما توافدوا أفواجاً إلى المقر الرئيسي لبيروت مدينتي لتقديم الدعم. كانت الاستجابات الفردية، على وسائل التواصل الاجتماعي، وفيرة بالقدر ذاته، مع خلال العديد من الصور المرئية والرسائل ومقاطع الفيديو والرسوم المتحركة والتي

إلى القطاع المالي بعد أزمة 2008.²⁶ لقد تم تهجير العديد من ناخبي المدينة إلى الضواحي بسبب تكلفة السكن التي لا يمكن تحملها، بينما كافح آخرون للحفاظ على تجارتهم على الرغم من الإجراءات الضخمة. ومثلت حقيقة أن المدينة تقع في جوهر منطق الرأسمالية النيوليبرالية، أن تجيش الحراك داخل أنحاء المدينة يعني أيضاً حراكاً ضد منطق السياق النيوليبرالي. كان النشاط ومؤيدوهم يقومون باستعادة القيمة الاجتماعية للأرض والشعور العام بأن المدينة هي مكان لصنع الحياة: مكان عمل ومكان لبناء حياة الفرد.²⁷

بصرف النظر عن محتوى البرنامج، سمحت لغة الحملة بالاشتباك مع السياسة وحاولت أن تحوز على قبول واسع، وتخلت عن المجازات الطائفية التقليدية والمفردات المستغلقة للصحفيين والسياسيين. تحدثت مدينتي بيروت عن الاحتياجات اليومية (مثل الاختناقات المرورية وأزمة الإسكان) أو المخاوف الصحية (مثل تلوث المياه والهواء) وشجعت سكان المدينة على الانضمام إلى المطالبة بالحقوق الأساسية التي ينبغي لهم الحصول عليها على أساس إقامتهم في المدينة أو الانتماء إليها. وبذلك جعلت الحركة «ما هو سياسي»

²⁶ On the privatization of shared spaces, see Ussama Makdisi, "The Modernity of Sectarianism in Lebanon," *Middle East Report* 26 (1996): 23-26; and Najib B. Hourani and Ahmed Kanna, "Neoliberal Urbanism and the Arab Uprisings: A View from Amman," *Journal of Urban Affairs* 36, sup. 2 (2014): 650-62. On the consolidation of property ownership, see Mona Fawaz, Marieke Krijnen, and Daria El Samad, "A Property Framework for Understanding Gentrification: Ownership Patterns and the Transformations of Mar Mikhael, Beirut," *City* 22, no. 3 (2018): 358-74. On the financialization of property, see Krijnen, "The Urban Transformation of Beirut: An Investigation into the Movement of Capital" (PhD diss., Ghent University, 2016); and Bruno Marot, "Growth Politics from the Top Down: The Social Construction of the Property Market in Post-War Beirut," *City* 22, no. 3 (2018): 324-40.

²⁷ Harvey, "Neoliberalism and the City."

بهاشتاج «#copy_paste» «قص ولصق» نجحت نجاحاً كبيراً على وسائل التواصل الاجتماعي. باختصار، قدمت المدينة المادة التي أتاحت تصميم حملة حولها بلغة جامعة وسهلة. في نهاية المطاف كان ينظر إلى مطلب بـ «الحق في حياة كريمة في المدينة» كجزء من «أداء» ما هو سياسي، وهو الأداء الذي ركز على الأبعاد الجوهرية للمواطنة المدنية بدلاً من حالة المواطنة التي يتم منحها الشخص بالوراثة والمتشابكة مع انقسات السلطة المحلية. أنتقل الآن إلى هذا الجانب الأدائي.

المواطنة المدنية باعتبارها احتجاجاً انقطاعياً كانت بيروت مدينتي حملة انتخابية رسمية. في بدايتها، كانت أنشطتها تقع ضمن المنظومة التقليدية لأنشطة المواطنين، مثل الحملات الانتخابية أو التصويت. لكن في الوقت نفسه استعارت كلا من الحملة والحركة التي حملت اسمها لاحقاً استراتيجيات من الاحتجاجات والأفعال الانقطاعية لتفعيل الأبعاد الأدائية للمواطنة. يمكن تصنيف هذه الأبعاد الأدائية في فئتين الأولى، اعتماد الحركة على «أفعال مسرحية» تستحضر من خلالها إمكانية وجود ديمقراطية. كان هذا الأمر - جزئياً - ضرورة، فالتنظيم المجتمعي كان صعباً بالنظر إلى ضآلة الموارد وإمكانية الوصول المحدودة إلى

يتم نشرها يومياً من قبل الأشخاص الذين يتوقون إلى إظهار الدعم، حتى وإن كانوا يعيشون في الخارج. كان هذا جزءاً لا يتجزأ من استراتيجية الاتصالات الخاصة بالحملة فيما يخص تسويقها وتصميمها. والتي ثمنت التعاون: الاحتفاظ بشعار قوي مع السماح بالإنتاج اللامركزي ومجموعة متنوعة من طرق المشاركة، بما في ذلك مناظرات الأحياء.²⁸

على الرغم من الاعتراف بأن الظروف المعيشية السيئة كانت مستمدة من هيمنة القطاع المالي واعتماد الطبقة السياسية على المصالح الطائفية للحفاظ على سيطرتها، ركزت رسائل الحملة الانتخابية في الغالب على استراتيجيات للتطوير المكاني والاجتماعي للمدينة، وعلى إيمانها بخبرات الأربعة خبراء الذين كتبوا برنامج بيروت مدينتي، وعلى قدرة مرشحها على تنفيذه. الاستجابة الإيجابية لهذه الاستراتيجية تمثلت أوضح ما يكون في حقيقة أنه، ولأول مرة في زمن ما بعد الحرب، أصدرت اللائحة المدعومة من المؤسسة الرسمية «برنامجاً انتخابياً» قبل أسبوعين من الانتخابات، يعدد التدخلات التي سينفذونها في المدينة، مثل المساحات الخضراء والتنقل الأفضل. تم استعارة العديد من هذه التدخلات مباشرة من برنامج بيروت مدينتي، مما أدى على الفور إلى حملة ناقدة

²⁸ Ian Akerman, "Beirut Madinati and the Politics of Design," Campaign Middle East, May 27, 2016, <https://campaignme.com/2016/05/27/110419/beirut-madinati-and-the-politics-of-design/>.

مخضرة عن حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة وتتحرك من خلال كرسي متحرك. كانت هناك أيضاً مناظرات عامة تذهب فيها المجموعة إلى الشوارع لملاقاة سكان الحي ومناقشتهم في تحديات الحياة اليومية داخل أحيائهم. رافق هذه الزيارات ممثل شاب موهوب، تمكن من تحويلها إلى عروض عامة بارزة جذبت اهتمام وسائل الإعلام على الرغم من تفاوت مستويات مشاركة السكان من حدث إلى آخر. مكنت هذه الزيارات المجموعة من تطوير أجندتها الخاصة بالحراك على مستوى الشارع، وهو الأمر الذي نال استحساناً واسع النطاق ومنح الحملة هالة من الحراك الشعبي الفعال.

الفئة الثانية، هي تحدى بيروت مدينتي لقواعد اللعبة الانتخابية، وخاصة التصنيفات الطائفية والمناطقية التي يجب من خلالها عادةً على المواطنين اللبنانيين توجيه تصويتهم. فالقاعدة في لبنان، أنه على المواطنين عمومًا التصويت في منطقة أصول عائلاتهم، سواء في الانتخابات المحلية أو الوطنية. وعلى الرغم أنه الممكن من الناحية القانونية الشخص أن ينقل تسجيله، إلا أن العوائق الإدارية الجمة تجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل تحقيق مثل هذه الشيء.²⁹ ونتيجة لذلك، فإن الانتخابات المحلية في لبنان لا تمثل السكان الفعليين للمدينة، خاصة في المدن الكبرى مثل بيروت، حيث

بعض أحياء المدينة، الواقعة تحت سيطرة الساسة الأقوياء الذين عارضوا وجودنا وحتى حملتنا الانتخابية من الأساس. وهكذا، استثمرت بيروت مدينتي في صورة حركة ديموقراطية طُرحت أولاً من خلال منصات التواصل الاجتماعي، ولاحقاً -مع تزايد الاهتمام بأنشطتها- عبر منافذ الأخبار الرئيسية في البلاد. كانت قائمة مرشحي الحملة عبارة عن طيف ملون واسع من المعماريين ومخططي المدن والمهندسين والأطباء والفنانين والمحامين وصياد سمك، الجدير بالذكر، إن كفاءات هؤلاء المرشحين أشاعت أملاً في التغيير، ففي الوقت الذي اعتاد فيه سكان المدينة على التفكير في كل مرشح باعتباره «ممثلاً» لحزب سياسي معين ومجموعة طائفية معينة، كانت قائمة مرشحي بيروت مدينتي متماسكة ومهنية. استندت هويات أعضائها على مساراتهم الشخصية واشتباكهم مع المجال العام، وتم جمع هذه العناصر في برنامج متآلف يسعى للتغيير الحضري. بالإضافة إلى ذلك، كان نصف المرشحين من النساء، مما يعزز المساواة في مجتمع أبوي التمثيل النسائي فيه بأُس. وأضف تنوع خلفيات المرشحين المهنية هالة من الدمج غير المعتادة في لبنان. ضمت قائمة المرشحين الممثلة المشهورة نادين لبكي. والموسيقي ذائع الصيت أحمد قعبور. ورئيس تعاونية الصيادين في أحد أحياء بيروت، نجيب الديك؛ وأمل الشريف، وهي مدافعة

²⁹ Mona Harb and Sami Atallah, *Local Governments and Public Goods: Assessing Decentralization in the Arab World (Ras Beirut: The Lebanese Center for Policy Studies, 2015)*; and Abu-Rish, "Municipal Politics in Lebanon."

الشعبي الأول للحركة، لم يكن أربعة متحدثين من الخمسة ممن يحق لهم للمشاركة في انتخابات بيروت. كان يمكن لهذا الوضع أن يؤدي إلى إجهامنا عن الانخراط المباشر في السياسة المحلية - وبالفعل، ولسنوات عديدة كان معظم الناس مترددين حيال الأمر. ولكن بدلاً من ذلك، سعى أعضاء الحملة إلى إظهار المفارقة الناجمة عن أوضاعهم، ملودين برسالة مفادها أن إعادة امتلاك مدينة صالحة للعيش من خلال حملة انتخابية هو أمر يتعدى أكثر من مجرد حصد الأصوات. وبشكل عام، لم يكن لأكثر من نصف منظمي الحملة ومؤيديها الحق في المشاركة المباشرة في انتخابات بيروت. ومع ذلك، فإنهم بمشاركتهم في التفكير وصياغة الرسالة وتسجيل الناخبين وجمع التبرعات والجوانب الأخرى للحملة تحدوا القيود المفروضة على من يستطيع التحدث عن وإلى المدينة ومن يمكنه المشاركة في السياسة المحلية.

إن العرض المرئي لهذه المشاركة خارج فعل التصويت يشير إلى أفعال السياسة الأدائية الأخرى حيث يستند مغزى المشاركة السياسية على تحويل التحدي إلى «فعل». يسمح هذا بمناقشة المشاركة السياسية من خلال التركيز على «الأفعال» الحقيقية التي يكون كل فرد على استعداد للقيام بها، ويتخطى تصوير المجتمع في ثنائية المواطن وغير المواطن.³⁰ على سبيل المثال، وصفت

ترتفع معدلات تنقل السكان. فمعظم سكان المدينة ليسوا مؤهلين للتصويت في الانتخابات المحلية. ومما يضاعف المشكلة، إن تكاليف الأراضي الباهظة في العاصمة دفعت العديد ممن كانوا سيصبحون ناخبين مؤهلين إلى خارج الحدود الإدارية للعاصمة. وبالتالي، تُعيد الانتخابات المحلية إنتاج التوازن الطائفي المحدد وفقاً للتقسيمات المنطقية التاريخية، عن طريق الحفاظ على مجموعة مستقرة نسبياً من الناخبين في كل منطقة.

صنعت بيروت مدينتي صدعاً في هذا الواقع من خلال عمل عروض عامة للتحريض السياسي ضمت سكان المدينة الذين لا يمكنهم لا التصويت ولا الترشح في الانتخابات البلدية في بيروت. كان هذا تحدياً لقواعد السياسة الانتخابية المحلية في لبنان، نجحنا من خلاله في تسليط الضوء على عبثية الحدود الطائفية للتمثيل السياسي. لإعطاء أمثلة قليلة على ذلك: لم يكن أي من الناشطين الأول في الحملة ينتمون إلى «عائلات المدينة» التقليدية - هؤلاء البيارتة «الأصليين» الذين يتبعون نسبهم الحضري إلى العصور الاستعمارية أو ما قبلها. والأكثر من ذلك، أن معظم هؤلاء النشطاء لم يصوتوا حتى في بيروت. وشمل ذلك منسق الحملة ومحامي الحملة ومنسقي البرامج والاتصال. فجميعنا ولدنا وترعرعنا في بيروت ونعتبرها مدينتنا، لكن لا يحق لأي منا الترشح أو التصويت في مسقط رأسنا. علاوة على ذلك، خلال الإطلاق

³⁰ Isin and Nielsen, Acts of Citizenship.

هياكل التمثيل. هذه، على حد تعبير الباحثين ماريا كايكا ولازاروس كارولياتاس، «طرق بديلة للتخيل والقيام والقول».

يستدعي هذا الاستعراض المرئي للمشاركة خارج عملية التصويت إلى الذهن أفعال السياسة الأدائية الأخرى إذ تكمن أهمية الاشتباك السياسي في الأداء المرئي للتحدي. يتيح ذلك لنا مناقشة الاشتباك السياسي مع التركيز على «الأفعال» الفعلية/ الحقيقية المستعد للقيام بها كل فرد، ويسمح لنا بتجاوز تصوير المجتمع من خلال ثنائية للمواطن وغير المواطن. على سبيل المثال، وصفت عالمة السياسة مونيكا فرساني احتجاجات المهاجرين غير الموثقين في الولايات المتحدة على أنها عملية يصبح من خلالها هؤلاء الأفراد مرئيين، ويستردون الميادين العامة، ويطالبون بحقوقهم في تقديم المظالم كمواطنين. وبالمثل، وصف عالم الاجتماع توماس سوارتس مظاهرات المهاجرين غير الموثقين في كندا بأنها مسرحية استعراضية وأدائية للمواطنة يثبت من خلالها هؤلاء المهاجرون للعالم أنهم «مواطنون بالممارسة»³². وعلى الرغم إنهم قد يكونون غير ساعين إلى الانتساب لهذه الدولة، إلا أن هؤلاء المهاجرين غير القانونيين يقومون بأفعال المواطنة، وهي أفعال يخلقون من خلالها «سيناريوهات» جديدة لما يعنيه أن يكون المرء مواطناً.³³

عالمة السياسة مونيكا فرساني مظاهرات المهاجرين غير الموثقين في الولايات المتحدة على أنها عملية يصبح من خلالها هؤلاء الأفراد مرئيين، ويستردون الساحات العامة، ويطالبون بحقوقهم في أن يكون لهم مطالب كمواطنين.³¹ وبالمثل، وصف عالم الاجتماع توماس سوارتس احتجاجات المهاجرين غير الشرعيين في كندا بأنها المرحلة المسرحية والأدائية للمواطنة التي يثبت فيها المهاجرون غير الشرعيين للعالم أنهم «مواطنون في الممارسة». هؤلاء المهاجرون غير الشرعيين يقومون بأعمال المواطنة، وهي أفعال يخلقون من خلالها «نصوص» جديدة لما يعنيه أن يكون المرء مواطناً. هذه الأفعال قد تحل محل التعريفات التقليدية للجنسية. في حملة بيروت مدينتي، تعترض تعبيرات «الأداء» عن المواطنة الحضرية على توزيع الحقوق والامتيازات والأماكن التي يحكم من خلالها السكان الإقليميون (اقرأ: الطائفية). وبدلاً من ذلك، تم طرح تكوينات جديدة للعضوية السياسية التي تقع في مكان الإقامة. من الواضح أن هذه التكوينات لم تكن مكتملة، حيث لم تتمكن من منح حقوق موضوعية لأهالي المدينة، كما لم تتمكن من تمكين العاملين في بيروت مدينتي الذين كانوا غير مؤهلين قانونياً للترشح أو التصويت في الحملة. ومع ذلك، شكّلوا «ارتباطاً بالمواطنة» أو بمدن المدينة التي تحدث

³¹ Varsanyi, "Interrogating 'Urban Citizenship.'"

³² Swerts, "Creating Space for Citizenship."

³³ Ibid

أهمية خاصة بالنسبة للطائفية، التي تشكل وتعيد تشكيل جزء كبير من عمليات التطوير العمراني في بيروت والتي تتجسد مكانياً من خلال تقسيم الدوائر الإدارية والتصويتية التي تعزز وتعيد إنتاج نظام الزبائنية الرأسي. تعد الحدود الإدارية لبيروت خريطة انتخابية سياسية منظمة ومدروسة بعناية وهي تؤمن، إلى حد كبير. النتائج الانتخابية لأولئك الذين يقررون ما هي هذه الحدود.³⁶ يفسر تشريح المدينة بهذا الشكل إلى وحدات طائفية مناطقية، كما أوضح برنامج بيروت مدينتي، سوء الخدمات في المدينة: فهذه المساحة المتكاملة والتي يتدفق من خلالها السكان بسلاسة نسبية تحكمها مجموعات سياسية طائفية متناحرة مصلحتها هي التحكم في السكان، عوضاً عن تقديم خدمات للمدينة.³⁷ ونتيجة لذلك، فإن البرنامج الانتخابي الذي يحدد في ديباجته استحالة خدمة المدينة ومعالجة بنيتها التحتية المتهالكة دون تنسيق ذلك على مستوى إقليمي يمثل تحدياً ضمنياً للطائفية المناطقية - دون مهاجمة هذا الأمر بشكل مباشر. كيف يمكن، على سبيل المثال، أن تقوم بلدية تحكم بيروت - داخل حدودها الإدارية الحالية - بتسهيل حركة المرور، إذا كانت 70% من السيارات التي تجوب المدينة

هذه الأفعال قد تنسخ تعريفات المواطنة التقليدية. في حملة بيروت مدينتي، تحدث هذه التعبيرات «الأدائية» للمواطنة الحضرية توزيع الحقوق والامتيازات والأماكن التي يُحكم من خلالها السكان مناطقياً وإقليمياً (أي: طائفيًا).³⁴ وبدلاً من ذلك، تم طرح بنى جديدة للانتماء السياسي مبنية على أساس مكان الإقامة. من الجلي أن هذه البنى لم تكن مكتملة، فهي لم تتمكن من ضمان حقوق جوهرية لأهالي المدينة، كما لم تنجح في تمكين أولئك الذين انخرطوا في حملة بيروت مدينتي وكانوا غير مؤهلين قانونياً للترشح أو التصويت في الانتخابات المحلية. لكن شكلت هذه البنى «اشتباكاً مع المواطنة» أو المواطنة المدنية تحدى بنية التمثيل القائمة. وتعد هذه البنى، على حد تعبير الباحثين ماريكا كاكا ولازاروس كارولياتاس، «طرق بديلة لتخيل وقول وعمل الأشياء في المشاع»³⁵.

وبالمثل، يمكننا القول إن برنامج بيروت مدينتي تجاوز الحدود الإدارية المقيدة للمدينة من خلال طرح رؤيته لعاصمة لبنان، المساحة المركزية لإعادة إنتاج القوى التي تنظم المجتمع. تشكل هذه الحدود الإدارية

³⁴ Ibid.

³⁵ Maria Kaika and Lazaros Karaliotas, "The Spatialization of Democratic Politics: Insights from Indignant Squares," *European Urban and Regional Studies* 23, no. 4 (October 2016): 556-70.

³⁶ Harb and Atallah, *Local Government and Public Goods*; Hiba Bou Akar, *For the War Yet to Come: Planning Beirut's Frontiers* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2018); and Mohamad Hafeda, *Negotiating Conflict in Lebanon* (forthcoming).

³⁷ See Mona Fawaz, "Urban Policy: A Missing Government Framework," *Lebanese Center for Policy Studies*, May 2017, <https://www.lcps-lebanon.org/featuredArticle.php?id=116>.

عبارة عن كود سري- وقفة «دفاعية» عن المواطنة الحضرية³⁸. حتى أنها استدعت إلى الذكرة الحركات المعادية للمهاجرين التي تثار فيها المخاوف العنصرية ضد «القادمين الجدد» حتى عندما يكون هؤلاء المهاجرون مقيمين في المدينة منذ عقود.

قام وزير الداخلية آنذاك، نهاد مشنوق - والذي ينحدر من عائلة سنية قوية في بيروت - بهندسة الحملة الانتخابية مباشرة، مذكراً الناخبين المجتمعين في كل مناسبة بضرورة «الدفاع» عن المدينة ضد «الغريب». وقال مشنوق في أحد أيام الآحاد وخلال اجتماع غداء مبكر مع الناخبين «إن التصويت لصالح قائمة تيار المستقبل سيحمي العاصمة من قوائم الخصوم الذين يرغبون في كسر المدينة وقرارها»³⁹ وألمح أن بيروت مدينتي ومؤيديها لا ينتمون إلى المدينة، وليس لديهم الحق في الحديث باسمها. لكنهم هنا، بالأحرى، «لكسر» المدينة. وأضاف «هذه هي المرة الأولى التي نقول فيها إن التصويت هو دفاع عن المدينة» قال المشنوق في نهاية خطابه، «وهو أمر لم نذكره مطلقاً في أي انتخابات سابقة».

سيصبح هذا النوع من الخطاب شائعاً خلال الأسابيع التالية، التي عانى خلالها سياسيو المؤسسة لإعادة إكمام قبضتهم على

تأتي من خارج حدود هذه المدينة؟ كيف يمكنها إدارة شبكة الصرف الصحي عندما تكون محطات المعالجة خارج حدودها؟ ما لم يتم ربط المناطق ببعضها، مع الاعتراف بالطابع التكاملي لبنيتها التحتية، ستظل المدينة غير قابلة للحكم. طرح برنامج بيروت مدينتي ومرشحوه أنه قبل تحسين الخدمات الحضرية، هناك حاجة إلى شكل مختلف من السياسة المرتكزة على الإقامة المشتركة في حيز العاصمة الكبرى، بدلاً من المناطقية الطائفية الحالية.

ردود الأفعال والتحديات

يمكن تقييم نجاح «بيروت مدينتي» في محاولة تغيير اتجاه الانتخابات البلدية لأن تصبح صراعاً حول من سيسترد المدينة من خلال رد فعل النخبة السياسية. فعلى الرغم من البيئة السياسية شديدة الاستقطاب، إلا أن ائتلاًفاً يضم الطيف الكامل للنخبة السياسية تجتمع في قائمة موحدة ضد بيروت مدينتي. روجت هذه القائمة - المدعومة من قبل المؤسسة - لنفسها بأنهم «البيارتة» (الأشخاص المنتمين إلى بيروت). قد تبدو هذه التسمية بريئة ظاهرياً للأعين الخارجية، لكن في سياق بيروت، حيث تستدعي مزاعم الأمالة العرقية تداعيات سياسية محددة، كانت هذه التسمية

³⁸ Yiftachel, "Epilogue."

³⁹ خطاب ألقى خلال غداء مبكر في أحد أيام الأحد مع «عائلات بيروت» في 18 فبراير / شباط 2016

To Participate Heavily in Beirut's Elections in Defense of Its Fate," National News Agency, February 18, 2018, <http://nna-leb.gov.lb/en/show-news/88365/nna-leb.gov.lb/en>.

على الناحية الأخرى رفض خصومهم بصراحة مطالبة الأفراد بحقهم السياسي في المدينة لمجرد الإقامة فيها. في النهاية، قالوا، لن يصوت أي ناخب «البيروتية» في هذه الدوائر الانتخابية المختلفة.⁴² لم تقتصر هذه المعارضة على المجتمع السنّي فقط، فلم يتردد حراس نظام تقاسم السلطة الطائفي في لبنان، بما في ذلك المذبة التلفزيونية البارزة مارسيل غانم، في مهاجمة الحراك باعتباره تهديداً «للتعايش الوطني» - في إشارة إلى خطر أن بيروت مدينتي قد تترك أي من الاتفاقات غير الرسمية بشأن التكوين الطائفي للألحة الانتخابية. وبالمثل، عبر الحريري مراراً وتكراراً عن قلقه من تهديد الحركة لما سماه «المناصفة» المسلمة المسيحية لحكومة المدينة.⁴³

مؤسسة التمثيل المحلية الطائفية المثيرة للانقسام، في هذا الإطار، كان التحدي الذي طرحته بيروت مدينتي بمثابة إهانة مباشرة للقيادة السنّية التي عهد إليها بالسيطرة على المدينة، ولا سيما رئيس الوزراء سعد الحريري وريث المرحوم رفيق الحريري وزعيم لبنان السنّي.⁴⁰ وجاءت ذروة رد فعل المؤسسة من خلال مهرجان شعبي أقيم في ملعب كرة سلة وحضره الحريري، الذي عاد من فرنسا إلى بيروت بعد شهر من النفي الاختياري الطارئ للدفاع عن سيطرة أثلافه على المدينة. خلال المهرجان، قامت الشخصية النمطية أم خالد، وهي «تمثل المرأة البيروتية السنّية المعتادة» وتؤديها الممثلة اللبنانية جوانا كركي، قامت بالترحيب بزعيم المجتمع الطائفي وأكدت من جديد - من خلال كلمة قوية وحيوية، سيطرته المطلقة على المدينة.⁴¹ أثار هذا الخطاب، بدوره، جدلاً قوياً حول من له الحق في هذه المدينة. فمن ناحية، عبرت أحد الفرق عن غضبهم لما اعتبروه تمييزاً عرقياً وطائفيّاً ضد غالبية سكان المدينة الذين لا يمكنهم الادعاء أنهم ينتمون إلى العائلات السنّية الكبيرة في بيروت ونبذوا ما وصفوه بأنه أقلمة للعاصمة.

⁴⁰ مجد بو مجاهد، «لهذه الأسباب فازت لألحة البيارة على بيروت مدينتي»، النهار، مايو/ أيار 12، 2016 <https://www.annahar.com/article/378371> لهذه الأسباب-فازت لألحة-البيارة-على-بيروت-مدينتي-378371-نيسان 5، 2016.
⁴¹ أقيم المهرجان في النادي الرياضي في 5 أبريل/ نيسان 2016. انظر: «بالفيديو: وأخيراً.. أم خالد تلتقي الرئيس الحريري»، النهار، أبريل/ نيسان 5، 2016. <https://www.annahar.com/article/372982> بالفيديو--وأخيراً-أم-خالد-تلتقي-الرئيس-الحريري-

⁴² مهّي حطيط، «بيروت في الانتخابات البلدية»، العربي الجديد، أبريل/ نيسان 28، 2016، <https://www.alaraby.co.uk/medianews/2016/4/28/بيروت-في-الانتخابات-البلدية>
⁴³ Hussein Dakroub, "Hariri Urges Beirutis to Vote for Coexistence," Daily Star, May 5, 2016, <http://www.dailystar.com.lb/News/Lebanon-News/2016/May-06/350823-hariri-urges-beirutis-to-vote-for-coexistence.ashx>

ميشيل فوكو لـ «الشعب» كأشخاص يعطلون النظام برفضهم أن يكونوا «سكانًا/تعداداً».⁴⁴ وقد أظهر العقد الأخير أن عملية التسييس هذه لا تتطلب وجود كيان سياسي متآلف ومتماسك داخليًا، بل تتشكل من خلال أعمال الحراك الجماعي.⁴⁵ يجادل ديبك وسوينجيدوف بأن عملية مقاطعة «النظام العقلاني» التي تنتجها التمردات المدنية الأخيرة تسهّل التآليف بين مجموعة من الأفراد غير المتجانسين في وحدة جماعية وتسمح لهم بأن يصبحوا ذوات سياسية. ويكتب المؤلفان «إن التموضعات الاجتماعية المكانية لهؤلاء المشاركين غير المتجانسين والأنماط المختلفة لاتصالهم وترابطهم واشتباكهم وتنظيمهم الاجتماعي تنقل المجال من أشكال معينة من التعبئة والعمل الاجتماعي إلى عولمة مطالب الديمقراطية والحرية والتضامن صانعة بذلك تحولاً من الحركة الاجتماعية إلى الحركة السياسية.»⁴⁶

هنا تبرز أهمية «طلعت ربحكم» في تشكيل مدينتي بيروت، لكن أيضًا تأثير بيروت مدينتي في دفع العديد من الناشطين للمشاركة في السياسة. فبناء على ذلك، وخلال الأسابيع التي تلت الانتخابات البلدية في بيروت في عام 2016، شهدت الانتخابات

مد إلى النموذج لما هو أبعد من بيروت

تمكنت بيروت مدينتي، باختصار، من تقديم أداء استعراضيًا للمواطنة تسبب في إرباك تنظيم خطوط التقسيم السياسي من خلال امتلاك شرعية داخل العملية الانتخابية ولكن خارج قواعد هذه العملية كما هي محددة في لبنان. لقد اشتبكنا مع النظام المؤسس نفسه: فلم نكن ببساطة نطالب بالحق في السكن ولكننا في الواقع كنا نسائل من يمكنه أن يطالب بالحق في السكن وأين، في النهاية، امتثلت اللائحة الانتخابية لقواعد اللعبة من خلال الحفاظ على المناصفة الطائفية. إلا أن الحراك الفعلي تحدى هذا النمط من التمثيل السياسي من خلال مداعبة الحلم «في وجود جماعة» وتخيّل مستقبل محتمل يتجسد في الرؤية التي قدمتها الحركة لمدينة يمكن لها يوماً أن تكون. كان هذا البعد الأدائي والمسرحي هو المتسبب في بث الحياة في المشهد السياسي للبنان وسيظل، في ظني، أحد أكثر إنجازات بيروت مدينتي بقاءً.

في محاولة حديثة لوضع إطار نظري لتسييس المدينة، يستدعي الأكاديميان مصطفى ديبك وإريك سوينجيدو صياغة

⁴⁴ Dikeç and Swyngedouw, "Theorizing the Politicizing City."

⁴⁵ driana Kemp, Henrik Lebuhr, and Galia Rattner, "Between Neoliberal Governance and the Right to the City: Participatory Politics in Berlin and Tel Aviv," International Journal of Urban and Regional Research 39, no. 4 (2015): 704-25.

⁴⁶ ikeç and Swyngedouw, "Theorizing the Politicizing City," 10.

جدًا عند مقارنته بخطاب المؤسسة الرسمية، أو أكبر بكثير من أن يكون مقنعًا. في نهاية المطاف، فإن الائتلافات التي شكلتها هذه المجموعات على المستوى الوطني شوهتها الخلافات الداخلية حول تكوين رؤية للبلاد، وحول بنية ومحتوى استراتيجيات التنمية الوطنية طويلة المدى حول والمؤهلات اللازمة لأعضائهم للترشح، وفي ظل غياب قصة صادقة يروونها - مثل السردية القوية التي قدمتها بيروت مدينتي لناخبيها حول مدينة تعمل بشكل فعال - كان من المستحيل لهذه البرامج أن تحول دفة الجدل بعيدًا عن مجالات الانقسام الطائفي وتجاه تخيل شكل جديد للوجود الجمعي، مثل ذلك الذي وعدت به المواطنة المدنية.

ما هو شكل البلد الذي يطمحون للعيش فيه؟ وما هي ركائزه الوطنية؟ كيف سيتعاملون مع التوترات الطائفية المدعومة إقليمياً؟ كيف سيسيطنون على الجماعات المحلية المسلحة مثل حزب الله، والذين تجاوزت أعمالهم العسكرية في المنطقة الحدود الوطنية؟ تم طرح عدد قليل من الاستراتيجيات العملية للاستجابة لهذه التحديات. يمكن عزو ذلك جزئياً إلى أن الأسئلة المطروحة كانت وبشكل واضح غير قابلة للحل من خلال شروط النقاش، ولكن أيضاً - في ظني - بسبب تمسك معظم مجموعات المعارضة القاعدية بنفس أطر برامج الأحزاب السياسية القائمة، كما أنهم ظلوا حبيسي المناطق الجغرافية التي

المحلية التي أُجريت في مناطق أخرى ظهور حركات انتخابية صغيرة النطاق تستلهم من نموذج بيروت مدينتي. بعضهم - مثل بعلبك مدينتي (وهي مدينة في وادي البقاع) - ترجموا مباشرة اسم الحملة. أما البعض الآخر فقد تبناوا فقط بعض مقاربات الحملة. وفي الأشهر التي سبقت الانتخابات التشريعية في عام 2018، ظهرت العديد من الحركات والحملات المستوحاة من بيروت مدينتي، آملة في تحقيق نجاح مماثل. عكست هذه الحركات الرغبة في تشكيل تنظيمات جمعية يمكن لها أن تتحدث نيابة عن الشعب - أو باستخدام كلمات دايك وسوينجيدو - أن تطالب بحكومة ديمقراطية واستراتيجيات اقتصادية ناجعة.

أحجم أعضاء حملة بيروت مدينتي عن الترشح للانتخابات التشريعية تحت راية الحملة وذلك بسبب الانقسامات حول القضايا التنظيمية والقراءات السياسية للظروف الوطنية. ومع ذلك، فقد شارك العديد منهم بشكل مباشر في الانتخابات التشريعية بطرق أخرى: فترشح العديد منهم للانتخابات، وقام آخرون بتنسيق الحملات. لكن من خلال العمل التنظيمي الذي أجبرهم على مواجهة التحديات الوطنية، مثل كيفية التعامل مع وجود جماعات مسلحة داخل البلاد أو ما هو موقعهم من التحالفات الجيوسياسية بالمنطقة، بدت الحركات الانتخابية التي شاركت في الحملات الانتخابية 2018 هشة. فقد كان خطابهم إما ضعيفاً

تحليل عدم قدرة كلنا وطني على الحشد، فهذا شيء خارج مجال هذه الورقة. لكن، أيضاً كان السبب وراء ذلك، فإن نقل تجربة المدينة إلى النطاق الوطني كان أقل سلاسة مما كان يأمله بعض النشطاء.

فرضتها عليهم الخرائط الانتخابية، حيث كانت مشاركتهم محكوم عليها بالفشل مسبقاً. وبالتالي، فقد ظلوا غير قادرين على تصور بديل قابل للتطبيق، حتى عندما قدموا خيارات أكثر إقناعاً من خلال شخصيات بعض مرشحيهم أو من خلال محتوى خطابهم.

مستقبل السياسة في المدينة

على العكس من ذلك، استخدم عدد من السياسيين المخضرمين، استلهاماً من نجاح بيروت مدينتي، تيمة المدينة من أجل صياغة برامج لحملاهم، لكن هذه المرة مطوعين «ما هو مديني» لخدمة أجنداتهم الخاصة. أبرز هذه الأمثلة، نقولا صناوي، وهو عضو في التيار الوطني الحر، والذي طور رؤية كاملة للمنطقة المرشح عنها في بيروت مع وجود تصميمات مدينية مصورة وعد بتنفيذها.⁴⁸ لكن في الوقت الذي استخدمت فيه بيروت مدينتي اصطلاح «ما هو مديني» كإشارة لجامعة، لإظهار ضرورة الترابط بين المناطق الحضرية المختلفة بشكل أبعد من نطاق التقسيم الإداري، فقد عكست خطط صناوي استخدام «المدينة» وقصرته على إجراءات تجميلية في الأحياء المسيحية في بيروت حيث كان يترشح. وافتقرت حملته لأي من الدوافع الانقطاعية لبيروت مدينتي. لم يكن إحداث صدع/ انقطاع في السياسات العامة من

ربما يكون «كلنا وطني»، التحالف الذي بدأ قبل شهر من يوم الانتخابات في أبريل/ نيسان 2018، هو المحاولة الأكثر إخلاصاً لتكرار تجربة بيروت مدينتي من خلال البعد المسرحي لمحاولته حشد التأييد الوطني. فقد ارتكز التحالف على خيال جمعي وطني لتقديم مظلة وطنية واحدة أو مجموعة ائتلافية تقدم مرشحين من تسع دوائر مختلفة في لبنان⁴⁷. لكن التحالف لم يكن له وجود على أرض الواقع في العديد من هذه الدوائر، كما فشل كلنا وطني في أن يكون ملهماً بالطريقة التي كانت بها بيروت مدينتي ملهمة بها. إذ دفعت قلة الاتساق الداخلي بعض الأفراد والجماعات للعمل تحت شعاراتهم الخاصة لتعزيز هوياتهم المستقلة بدلاً من الانصهار في بوتقة في المجموعة. ولم يساعد أيضاً أن التحالف لم يكن لديه لوائح مرشحين في بعض الدوائر الرئيسية - أخطرهم كان، في النصف «الإسلامي» لبيروت الإدارية، حيث تنافست تسع قوائم مختلفة على المقاعد. لا يطمح هذا المقال إلى

⁴⁷ ندى أيوب، «كلنا وطني»: 66 مرشحا في تسع لوائح لبناء دولة المواطنة بدل المحسوبيات»، النهار، أبريل/ نيسان 9، 2018، <https://www.annahar.com/article/788380-كلنا-وطني-66-مرشحا-في-9-لوائح-لبناء-دولة-المواطنة-بدل-المحسوبيات>

⁴⁸ التيار الوطني الحر هو واحد من أحزاب لبنان الرسمية ويعتبر رئيس الجمهورية ميشيل عون أحد أعضائه.

أحياء المدن ولعبنا دورًا قويًا في الدفاع عن القضايا المتعلقة بالتنقل الحضري وتأهيل واجهة بيروت البحرية وإدارة النفايات وغيرها. كما أسست بيروت مدينتي لنفسها كجزء من الائتلاف الوطني الفضايف لحركات المعارضة، من خلال المشاركة في الاحتجاجات وإصدار البيانات الجماعية مع الحفاظ على صوت مميز في القضايا المتعلقة بالمدينة.

لكن، حتى إذا تمكن برنامج عمل مرتكز على المدينة من تشكيل حركة سياسية تدمج المطالب الحضرية، فإن قدرته على زعزعة استقرار النظام الطائفي القائم تظل محدودة. بغض النظر عن مدى شعبية البرنامج السياسي- وأعتقد أن السنوات الثلاث التي انقضت منذ الانتخابات أثبتت بوضوح قدرات هذا البرنامج- لكن لا يمكن لهذه الشعبية أن تترجم في شكل أصوات انتخابية حقيقية إلا عندما يتوجه سكان المدينة إلى صناديق الاقتراع للتعبير عن جماهيرية البرنامج السياسي بدلا من الولاءات الطائفية. يتطلب ذلك بدوره إعادة صياغة شروط المواطنة في البلاد، بعيداً عن المحسوبية. وهي مهمة شاقة طالما أن الأزمة الاقتصادية الحالية تجعل من إعادة توزيع خدمات الدولة

بين نوايا صحنوي. لكنه، سعى إلى تحفيز الناخبين الشباب في منطقته من خلال صور جذابة لمستقبل مدينتهم، بدلاً من إلهام شكل جديد من أشكال الوجود الجمعي.

مع هدوء عاصفة الانتخابات النيابية لعام 2018، وتقييم المجموعات النشطة المختلفة لقدرتها على الاندماج في تشكيلات سياسية طويلة الأجل، أصبحت جاذبية المدينة كوحدة تنظيمية أكبر من أي وقت مضى. قد يكون الضغط الذي مورس على بيروت مدينتي لصياغة مواقف بشأن القضايا الجيوسياسية كجزء من بديل سياسي وطني موثوق به ضغطاً في غير محله: فقد فشلت العديد من الأحزاب السياسية الوطنية في تقديم خيارات مقنعة. في هذه الأثناء، بدأت مجموعة صغيرة من أعضاء بيروت مدينتي -والذين ظلوا ناشطين في المنظمة- في إظهار إمكانية تطوير الحملة إلى منظمة سياسية حقيقية. وبعد أشهر من المداولات مع الحركات القاعدية الأخرى - بما في ذلك زيارتين من عضو في الحزب السياسي الإسباني بوديموس - تمكنت المنظمة من خلق مجموعتين ناجحتين داخل الأحياء. قامت هاتان المجموعتان من بناء وجود قاعدي في

الحزب السياسي الإسباني بوديموس- أنشأت المنظمة مجموعتين ناجحتين في حين من حياء بيروت. قامت هذه المجموعات ببناء وجود شعبي/ قاعدي في أحياء المدينة ولعبت دورًا قويًا في الدفاع عن القضايا المتعلقة بالتنقل الحضري وتطوير الواجهة البحرية وإدارة النفايات وغيرها. كما بلورت بيروت مدينتي نفسها كجزء من الائتلاف الوطني الفضاخ لحركات المعارضة، من خلال المشاركة في الاحتجاجات والبيانات الجماعية مع الحفاظ على صوتها المميز في القضايا التي تخص المدينة.

لكن، حتى إذا تمكن برنامج سياسي/ انتخابي مرتكز على المدينة من تمكين تشكيل حركة سياسية تدمج المطالب المدنية، فإن قدرتها على زعزعة استقرار النظام الطائفي القائم تظل محدودة. فبغض النظر عن مدى جاذبية البرنامج السياسي - وأعتقد أن السنوات الثلاث التي انقضت منذ الانتخابات أثبتت قدرتها على الإمكانات - لا يمكن أن تترجم إلا إلى نمط تصويت حقيقي عندما يأتي سكان المدينة إلى صندوق الاقتراع للتعبير عن جاذبية منصة بدلا من الولاء للمستفيد. وهذا بدوره يتطلب إعادة صياغة شروط المواطنة في

عبر القنوات الطائفية هي استراتيجية البقاء الوحيدة للكثيرين.⁴⁹ وبالتالي ، فإن مشاركة مدينة المدينة قد لا تحول النتائج في صندوق الاقتراع ، على الأقل في المدى القصير. ومع ذلك، يمكن للمرء أن يتنبأ بثقة أن فكرة الجماعة التي تقدمت بها يمكن أن تشكل أساس التنظيم الجماعي والتعبئة ، وفرض إعادة تحديد موقع المناقشات الانتخابية وصنع السياسات بشأن القضايا ذات الأهمية الحيوية. مع هدوء عاصفة الانتخابات الوطنية لعام 2018، وتقييم مختلف المجموعات النشطة لقدرتها على الاندماج في تشكيلات سياسية طويلة الأجل، تبدو جاذبية المدينة كوحدة تنظيمية أقوى من أي وقت مضى. قد يكون الضغط الذي مورس على بيروت مدينتي لصياغة مواقف بشأن القضايا الجيوسياسية كجزء من بديل سياسي وطني موثوق به- ضغطاً في غير محله: فقد فشلت العديد من الأحزاب السياسية الوطنية في تقديم خيارات مقنعة. في هذه الأثناء، بدأ عدد من أعضاء بيروت مدينتي الذين ظلوا نشطين في الجهود التنظيمية في إظهار إمكانية تطوير الحملة إلى منظمة سياسية حقيقية. بعد أشهر من المراسلات مع الحركات القاعدية الأخرى - بما في ذلك زيارتين من عضو في

⁴⁹ نما الناتج المحلي الإجمالي للبنان بنسبة 1 في المائة فقط في عام 2018، ومن المتوقع فقط أن يكون أعلى قليلاً في عام 2019، "World Economic Outlook Database," International Monetary Fund, accessed March 5, 2019, <https://www.imf.org/external/pubs/ft/weo/2018/02/weodata/index.aspx>

يخفي هذا النمو الجزئي الواقع الخطير على الأرض ، حيث أصبح الوضع الاقتصادي مؤلماً أكثر فأكثر لمعظم اللبنانيين See, for example, Khalil al-Hariri, "Lower Your Expectations," Carnegie Middle East Center, December 18, 2018, <https://carnegie-mec.org/diwan/77990>.

البلد، بعيداً عن الزبناء. المهمة شاقة طالما أن الأزمة الاقتصادية الحالية تجعل إعادة توزيع سلع الدولة عبر القنوات الطائفية استراتيجية البقاء الوحيدة للكثيرين. وبالتالي، فإن مشاركة مواطني المدينة في هذه البرامج قد لا تحول النتائج في صندوق الاقتراع، على الأقل في المدى القصير. ومع ذلك، يمكن للمرء أن يتنبأ بثقة أن فكرة الوجود الجمعي التي قدمها البرنامج السياسي يمكن أن تشكل أساساً للتنظيم والتعبئة الجماعيين ويمكن لها أن تعيد موضوعة الجدالات الانتخابية وصنع السياسات فيما يخص بعض القضايا ذات الأهمية الحيوية.